



حادثة مكر النسوة بامرأة العزيز ومكرها بهن

(012) سورة يوسف

الدرس السابع : شرح الآيات 30 - 34

2020-10-31

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وبعد مع اللقاء السابع من لقاءات سورة يوسف، ومع الآية الثلاثين من السورة، وهي قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ؕ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ

(سورة يوسف: الآية 30)

ما زلنا في الامتحان الثاني، يوسف عليه السلام كانت له امتحانات؛ امُتحن بالشدة ثلاثة امتحانات، ثم امُتحن بالرخاء امتحانات أخرى.

أنواع امتحانات الإنسان

الإنسان يُمتحن بالشدة ويُمتحن بالرخاء، يُمتحن بالشر ويُمتحن بالخير:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَيَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ؕ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ

(سورة الأنبياء: الآية 35)



الامتحان سنة الحياة

فإنسان يُفتن، ومادة فتنه أو مادة امتحانه تكون حيناً شدةً وحيناً يسراً، قد تكون عسراً وقد تكون يسراً، وقد تكون شدةً وقد تكون رخاءً، هذه سنة الحياة، فالغني مُمتحنٌ بالغنى، والفقير مُمتحنٌ بالفقر، بعض الناس تعارفوا أن الفقير أو الضعيف أو المريض مُمتحن، لكنهم لم يتنبهوا أن الصحيح أو الغني أو القوي مُمتحنٌ أيضاً، وقد يكون امتحانه أصعب، لأن الإنسان في حالة الفقر والضعف كثيراً ما يتوجه إلى الله، لكنه في حالة الغنى والقوة والصحة كثيراً ما يظن نفسه مستغنياً عن الله، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ * أَن رَّآهُ اسْتَعْتَى

(سورة العلق: الآية 6-7)

هو يشعر بإسْتَعْتَاؤِهِ عن الله في زعمه، رغم أن الإنسان في كل لحظة، وفي كل طرفه عين، مفتقرٌ إلى الله عزَّ وجلَّ في أبسط شيء، في شربة ماءٍ يشربها، أو في شربة ماءٍ يُخرجها، لكن الإنسان ينسى (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ * أَن رَّآهُ اسْتَعْتَى) يظن نفسه مستغنياً عن الله، لكنه في قبضة الله عزَّ وجلَّ، فالامتحانات متنوعة.

امتحانات الأنبياء كثيرة

يوسف عليه السلام عنده امتحاناتٌ في الرءاء، وامتحاناتٌ في الشدة، والأنبياء غالباً ما يمتحنون بكثيرٍ من الامتحانات بخلاف عموم البشر، لأنهم أسوة، والأسوة لا تتحقق إلا عندما يكون للنبي مواقفٌ متعددةٌ في الحياة، بحيث يجد الفقير في سيرته ما يتأسى به، ووجد الغني في سيرته ما يتأسى به، ونبينا صلى الله عليه وسلم كان أعظم أسوة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

(سورة الأحزاب: الآية 21)



امتحانات الإنسان محدودة

لأنه افتقر واعتنى، ضَعَفَ وَقَوِيَ، كان صحيحاً وأصابته الحمى وسَقِمَ، فقد ولده ورزق بالولد، عاش عيشةً هَيَبَةً مع زوجته، وكان هناك ما يُعَكِّرُ صَفَاءَهُ، واتهموا زوجته الطاهرة الثريثة المُبرَّاة بأشرف ما تُتهم به امرأة، هذه السيرة بكل ما فيها من تفاصيل، هاجر واستقر، اضطر للهجرة واضطر للاستقرار، حارب وسالم، نحن لا يمر في حياتنا كل هذه الابتلاءات، ابتلاءاتنا من نوع واحد غالباً، الإنسان قد يعيش فقيراً، وقد يعيش غنياً، وقد يُزَاح بينهما قليلاً، قد يمرض وقد لا يمرض، امتحانات الإنسان خياراتها أقل من امتحانات الأنبياء، لذلك قال صلى الله عليه وسلم:

{ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيَبْتَلَى الرَّجُلَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اسْتَدَّتْ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتَلَى عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ يَأْتِي حَتَّى يَبْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ حَاطِيَةٌ }

(رواه الترمذي)

(أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ)، لأنهم قدوة، والقوة يبتلى بكل أنواع الابتلاءات.

امتحانات سيدنا يوسف

يوسف عليه السلام مرَّ بامتحاناتٍ ثلاث قبل أن يُمَكَّنَ في الأرض، ويمتحن بالتمكين، قيل أن يُمتحن بالتمكين مرَّ بامتحاناتٍ ثلاث، ما هي؟
الامتحان الأول: كان امتحان الجب، يوم ألقاه إخوته في الجب، وقد مررنا على هذا الامتحان، وكان امتحاناً قاسياً، وقد قالوا:
عندما يكون من يظلمك قريباً منك، أُلْ ك، فظلمه أشدّ وقهراً على نفسه من ظلم الغرب، هذا امتحان ابتلي به، وهو امتحان الجب، وكانت مادته أن أقرب الناس إليه قد أراد أن يتخلص منه.
الامتحان الثاني: والذي تَحَنُّ يَصَدِّدِهِ، والذي تحدثنا عنه، وهو امتحان العفة والطهارة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَرَأَوْتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ

(سورة يوسف: الآية 23)

ثم سُمِّتَ في السجن، امتحان الجب، وامتحان القصر، وامتحان السجن، وفي جميع الأحوال نجح في الامتحان، فمكَّن له في الأرض، وخرج من السجن إلى القصر بامتحان جديد، وهو امتحان التمكين، فكان في العسر وفي اليسر، وفي الفرج وفي الشدة، ناجحاً في الامتحان، الامتحان الثاني هو امتحان القصر، كيف انتهى امتحان القصر؟ بعد إن جاء الشهود كما أسلفنا، وتبين من خلال الشهادة أن قميصه قد (قَدَّ مِنْ دُبُرٍ)، فهي التي كانت تُرَاوِدُهُ عَنْ نَفْسِهِ، وهي التي كانت تمنعه من الخروج، وهو الذي كان يفترُّ منها هارباً، فتبين ذلك.

خروج الحديث من القصر

الآن بدأ هذا الحديث يُدار في المدينة، كيف خرج الحديث من القصر؟ لا تعلم، لم يُخبرنا القرآن كيف خرج، لكن ظاهر الأمر أن الذين علموا هم أربعة؛ عزيز مصر، وزوجته التي راودت، ويوسف، والشاهد الذي من أهلها، لعله الشاهد، لأنها هي ليست لها مصلحةٌ بخروج الخبر، زوجها ليس له مصلحةٌ بخروج الخبر، فكما قلنا: إن أصحاب القصور لا يخافون من الفعل بحد ذاته غالباً، وإنما يخافون من انتشار الفضيحة، لذلك طَوَّوْا الموضوع، وقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ۖ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ

(سورة يوسف: الآية 29)

لكن الأمر لم ينته هنا، لعل هذا الشاهد كلَّم امرأته فرصاً، والسر إذا أعطيت للمرأة غالباً ما ينتشر، أخبرها بما حصل في القصر، فخرج السرُّ وشاع، طبعاً نحن لا نجزم بهذا، لكن لعله كذلك كما قال بعض المفسرين، المهم أن الخبر بدأ ينتشر، وبدأت نسوة المدينة يتناقطن خبر امرأة العزيز مع فتاها يوسف.



انتشار الخبر في المدينة ومن قام بنشره

(وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ): (نِسْوَةٌ) هو من الأسماء التي ليس لها مفردٌ من لفظها، أنت تقول: رجلٌ وجمعها رجال، كتابٌ كتب، أما نساء فما مفردُها ؟ امرأة، ليس لكلمة نساء مفردٌ من لفظها، فهنا يُدْغَرُ الفعل معها ويؤنث، فيقال لَعَةٌ: قالت نِسْوَةٌ، (وَقَالَ نِسْوَةٌ)، وقال بعضهم: عندما يكون الجمع جمعَ فِئَةٍ تُذكرُ الفعل، لأن التانيث غالباً لجمع الكثرة، فيبدو أن النِسْوَةَ لسننٌ كثرًا، لذلك ذُكِرَ الفعل معهنَّ ليوحى بقلتهن، ولو قال: قالت نِسْوَةٌ، لظهر أن الخبر قد انتشر وذاع في المدينة، لكن هؤلاء النِسْوَةُ اللواتي يتحدثن بهذا الأمر: هم خاصة النساء المعروفات في القصر من الطبقة الراقية كما تسمى في عصرنا، والدليل: أنها دعتهنَّ إلى قصرها، ولو كُنَّ من عوام الناس لما دعتهنَّ إلى القصر، لكن يبدو أنهن من صوجباتها المعروفات، تلك زوجة فلان، وتلك زوجة فلان، من الوزراء المعروفين في قصر العزيز، لذلك هذا سر (وَقَالَ نِسْوَةٌ)، لَعَةٌ يصح (وَقَالَ نِسْوَةٌ) وقالت نِسْوَةٌ، لكن لماذا اختار التذكير هنا؟ للإشارة إلى قلة النسوة اللواتي تحدثن.

(وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ): (الْمَدِينَةِ) كما قلنا توجد بها الوزارة، هناك قرية وهناك مدينة، (الْمَدِينَةِ) هنا بال التعريف للإشارة إلى المدينة المعهودة في ذاك الزمن، مدينة في مصر.

بداية الحديث عن العزيز في القصة

(أَمْرًاكَ الْعَزِيزِ): الآن أول مرّة نعرف أين يوسف، نحن حتى الآن وفق سياق القصة لا نعرف أين يوسف، يوسف في مكانٍ ما:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأَمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَنَوَاءَهُ

(سورة يوسف: الآية 21)

من الذي اشتراه من مصر؟ ومن امرأته؟ لا نعرف، الآن أول إشارة، وهذا من باب التشويق في القصة، الآن مع انتشار الفضيحة ينشر لك اسم القصر، ومن هو في هذا القصر.

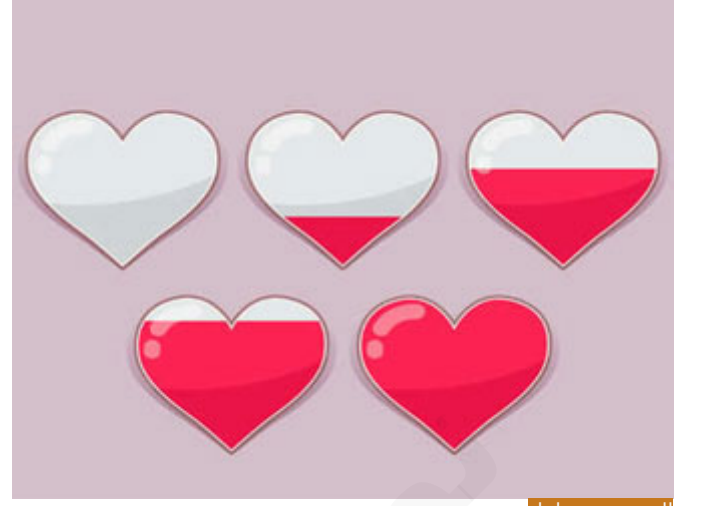


ما من إنسان إلا ويُعَلَبُ

(وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ): إذا هي امرأة العزيز، إذا هو في قصر العزيز، من عزيز مصر؟ عزيز مصر هو رئيس وزرائها كما أسلفنا، رئيس وزرائها بالعرف الحديث، وقالوا: قائد جيشها، لكن الأوضح والأوضح مما سيأتي من أنه اعتنى بتأمين الطعام وكذا، بأنه رئيس الوزارة في عرفنا اليوم، فهو رئيس وزرائها، والعزيز: هو الغالب الذي لا يُعَلَبُ، والله تعالى هو العزيز وحده، لأنه ما من إنسان إلا ويُعَلَبُ، لكن قد يقال لإنسان ما عزيزٌ مصر، يعني نسبةً إلى أنه في مصر حتى الآن هو غالبٌ لا يُعَلَبُ، لكن رأينا من كان عزيزاً وُعَلِبَ، فالعزة لله وحده، لكن يقال للإنسان: عزيزٌ تجاوزاً عندما يكون في مكانٍ بحيث يأمرُ وينهى، طبعاً من أين جاءت كلمة العزيز؟ يقال: الأرض العزاز، وهي الأرض الصخرية التي يصعب أن تطأها، أو أن تمشي عليها، فيقال لها: أرضٌ عزاز، يعني تكون الأرض صخرية يصعب أن يطأها الإنسان برجله، أو أن يمشي بها، فيقال لها: أرضٌ عزاز، والعزيز لا يستطيع أحدٌ أن ينال منه فيقال له: العزيز.

الحب يكون في طاعة الله عز وجل

(وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ): وقد بينا معنى المرادوة من المفاعلة، وهي أنها تطلب منه بلطفٍ أن يوافقها، أو أن يقع معها في الفاحشة، والعباد بالله.



الحب يمر بمرأجل

(امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ □ فَمَا شَغَفَهَا حُبًّا): شَغَفَ القلب هو غشاء القلب الرقيق الذي يُحيط به، وهذا يعني أن الحب قد وصل إلى شغاف قلبها، فاخترق الفكرة ومن ثم وصل إلى أعماق أعماقها فيقال: (شَغَفَهَا حُبًّا) وكان الحب وصل إلى شغاف قلبها فملأه، والحب يمر بمرأجل: أوله الهوى، عندما ينظر الإنسان فيحب شيئاً بهواه، ثم يتعلق به، ثم يعشقه ويكلف به، ويُدِّله، وبهيم بعد ذلك على وجهه كمجنون ليلى، فالحب له مراحل، والحب جميلٌ عندما يكون في الطاعة، لكن لا يُقْبَدُ إلا في طاعة الرحمن، فالذي يحب في الله، وفي طاعة الله عزَّ وجلَّ، لا يصل إلى الهيام، لأنه لا يجد حبيباً يُحِبُّ حب الهيام إلا خالق السماوات والأرض، لذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول:

{ لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي، وَقَدْ اتَّخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا }

(صحيح مسلم)

الخليل هو الله.

مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ قَدْ جَلَسَ بِجِوَارِ قَبْرِ، وَهُوَ يَبْكِي وَيَبْكِي، فَقَالَ لَهُ: مَا يَبْكِيكَ؟ قَالَ: مَاتَ حَبِيبِي، فَقَالَ لَهُ: لَوْ أَحْبَبْتَ حَبِيبًا لَا يَمُوتُ؟ فَإِذَا أَحَبَّ الْإِنْسَانُ حَبِيبًا لَا يَمُوتُ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى الْبُكَاءِ، وَهَذَا لَا يَعْنِي أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَبْكِي عَلَى فَقْدِ الْأَحْبَابِ، فَكَلْنَا كَذَلِكَ، وَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ سَيِّدُ الْخَلْقِ بَكَى عَلَى فِرَاقِ ابْنِهِ وَقَالَ:

{ إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا تَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ }

(رواه البخاري)

وما كان من القلب والعين فمن الله، ورحمة من الله، وما كان من اليد كمن يضرب نفسه، أو اللسان من يعترض ويتسخط، فمن الشيطان، عند الحزن ما يكون من اليد واللسان فهو من الشيطان، وما يكون من حزن القلب ودمع العين فهو من الرحمن، هذا هو المقياس، فالإنسان يحزن لفقد الأحياء ويحب، وقد يُبالغ أحياناً في حبه لوأله، أو لوألده، أو لوالدته، أو لزوجه، أو لأولاده، ولكنه لا يتعلق إلا بالله عزَّ وجلَّ، وهذا يعقوب خير درسي لنا؛ لما تعلق بيوسف عليه السلام أذهب الله يوسف، فتعلق بأخيه، فأذهب الله أيضاً، لا تعلق القلب إلا بالله، احزن لكن ضمن الحدود، هكذا يعلمنا القرآن الكريم.

الضلال المبين والضلال البعيد

هنا قال: (تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ □ فَمَا شَغَفَهَا حُبًّا □ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) لم يقل: إنا لننظرُ أنها، قال: (إِنَّا لَنَرَاهَا) فالرؤيا دليل، وكأنهم يشاهدون ضلالها بأم أعينهم، للمبالغة في ضلالها.

الضَّالُّ: هو البعد عن الطريق المستقيم.



الضلال هو البعد عن الطريق المستقيم

المبين: هو الشيء الواضح، وقد يكون الضلال مبيناً عندما يكون الحق واضحاً، ويضل الإنسان عنه، متى يكون الضلال مبيناً؟ عندما يكون الحق واضحاً، هناك ضلالٌ بعيد، وهناك ضلالٌ مبين، الضلال المبين: كان تكون مسافراً إلى بلدةٍ من البلاد، وقبل كيلومتر بدأت الإشارات والشاخصات ترشدك إلى أنه للوصول إلى البلدة التي تريد أن تذهب إليها يجب أن تذهب على اليمين بعد ألف متر، ثم بعد تسعمئة متر، ثم بعد ثمانمئة، إلى أن قالوا لك: بعد مئة، ووضعوا لك شاخصاً مبيناً، اذهب إلى اليمين، ثم لم تلتفت وقيت مستمراً في طريقك، فهذا ضلالٌ مبين، الحق واضح، أما الضلال البعيد: فهو أن تستمر في هذا الطريق الخطأ حتى تقطع به عشرات الكيلومترات، ثم تعرف أنك قد ضللت الطريق، فهذا ضلالٌ بعيد، فهناك ضلالٌ بعيد، وضلالٌ مبين، هنا قالوا: (إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)، السؤال هنا، امرأة العزيز (في ضلالٍ مبين) تراود فتاها، هي تتبع شهوتها وهي امرأة متزوجة فهي تعصي الله، وتخون زوجها، وتخون قصرها، يعني هي ضلالها مبينٌ في كل الأعراف، سواءً بالعرف الديني أو يعرف القصور.

الغاية الحقيقية للنسوة من الحديث عن القصة

هل هؤلاء النسوة فعلاً كُنَّ غيورات عليها؟ الجواب جاء في الآية التي بعدها كشفهن المولى جلَّ جلاله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 قَلَمًا سَمِعَتْ يَمْكُرُهُنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اجْزُعْ عَلَيْنَهُنَّ □ قَلَمًا رَأَيْتَهُ أَكْثَرْتُهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ
 وَقُلْنَ خَاشٍ إِلَيْهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ

(سورة يوسف: الآية 31)



المكر في الأصل هو ستر شيء خلف شيء

(قَلَمًا سَمِعَتْ يَمْكُرُهُنَّ) هذا كان مكرًا، ليس انتصاراً للفصيلة، وليس حباً بالخير، وليس رغبةً بإصلاح سوء نفس امرأة العزيز، أبداً، ولكن هي العيرة التي تنتاب النساء، لا سيما في تلك المجتمعات فأردن فضيحتها، وبيان ضلالها، وأنها تراود فتاها الذي يخدم في قصرها عن نفسه، وهي امرأة لها تلك المكانة، أردن أن ينزلن من مكانتها في المجتمع، ولعلها في السهرات التي كانت تجربها معهن تظهر بمظهر الناصح، وبمظهر المرأة الجيدة، والمرأة التي تعيش في القصر مع زوجها بأبهى وأحسن حال، وتباهي بحبها لزوجها، وبحب زوجها لها كما تفعل النساء، الآن أردن أن ينتقمن منها، ولكن لم يكن ذلك انتصاراً للفصيلة، فضجهن المولى جل جلاله قال: (قَلَمًا سَمِعَتْ يَمْكُرُهُنَّ) هذا مكرٌ وليس انتصاراً للفصيلة، والمكر في الأصل هو ستر شيء خلف شيء، يعني أنت تُظهر شيئاً، وتريد شيئاً آخر، فتستر ما تريد بما لا تريد، فهن يسترن رغبتهن بفضيحتها بقولهن: (إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) لم يقولوا: نريد أن نفضحها، قالوا: نريد أن نصلحها، ونصلح ضلالها، وهن في الحقيقة يمكن به.

(قَلَمًا سَمِعَتْ يَمْكُرُهُنَّ) وهي كانت أمكر منهنَّ، وأقدر على إيقاف هذا المكر.

(أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ): أي أرسلت في طلبهنَّ، وهنا يتضح أنهنَّ النسوة القربيات من القصر، صديقات وصويحات امرأة العزيز، ولسن نساءً غريبات، وإلا كيف ترسل في طلبهنَّ؟

أحكام تتعلق بالاتكاء

(أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ وَأَعْتَدَتْ لَهُمْ مَتَكًا): (أَعْتَدْتُ) أي هَيَأْتُ، (مَتَكًا) هو ما يَتَكُّ عَلَيْهِ مِنَ الْوَسَائِدِ وَنَحْوِهَا، شَيْءٌ وَثِيرٌ، وَفَرَايشٌ وَثِيرٌ، وَمَتَكًا وَثِيرٌ لِيَجْلِسْنَ عَلَيْهِ، وَيَبْدُو أَنْ حَيَاةَ الْقُصُورِ كَانَتْ كَذَلِكَ، فِي كُلِّ عَصْرِ هُنَاكَ طَرِيقَةٌ لِإِظْهَارِ الْفَخَامَةِ، فَوَضَعْتَ لَهُنَّ الْمَتَكًا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَجْلِسْنَ عَلَيْهِ، (وَأَعْتَدْتُ لَهُنَّ مَتَكًا) وَالشَّيْءُ بِالشَّيْءِ يَذَكُرُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ قَالَ:

{ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِيَّيْ لَا أَكُلُ مَتَكِيًّا }

(رواه البخاري)



يُكْرَهُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَأْكُلَ مَتَكِيًّا

فَقَالَ الْعُلَمَاءُ: بِكَرَاهَةِ الْأَكْلِ مَتَكِيًّا، يُكْرَهُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَأْكُلَ مَتَكِيًّا، وَيُقْصَدُ بِالْمَتَكِيِّ هُنَا شَيْئَانِ اثْنَانِ، الشَّيْءُ الْأَوَّلُ: هُوَ مَا يُعْهَدُ الْيَوْمَ بِالْعَامِيَةِ، وَهُوَ أَنْ يَمِيلَ الْإِنْسَانُ عَلَى أَحَدِ جَنْبَيْهِ، طَبْعًا قَدْ يَمِيلُ الْإِنْسَانُ عَلَى أَحَدِ جَنْبَيْهِ بَعْدَ الطَّعَامِ لِرَاحَتِهِ، لَا حَرَجَ فِي ذَلِكَ، لَكِنْ أُنَاءَ الطَّعَامِ يَمِيلُ عَلَى أَحَدِ جَنْبَيْهِ، فَكَانَتْ هَذِهِ الْجَلْسَةُ أُنَاءَ الطَّعَامِ لَيْسَتْ جَلْسَةً مُؤَدَّبَةً، فِيهَا كِبَرٌ وَغُرُورٌ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَبِرَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلَكًا أَوْ نَبِيًّا عَبْدًا، فَقَالَ:

{ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَطَّرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: هَذَا الْمَلَكُ مَا تَرَلَّ مُنْذُ خُلِقَ قَبْلَ هَذِهِ السَّاعَةِ. فَلَمَّا تَرَلَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ؛ أَمَلِكًا أَعْجَلُكَ، أَمْ عَبْدًا رَسُولًا؟ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا بَلَ عَبْدًا رَسُولًا" }

(رواه ابن حبان)

اِخْتَارَ الْعِبُودِيَّةَ لَمْ يَرِدْ أَنْ يَكُونَ مَلَكًا، اِخْتَارَ عِبُودِيَّتَهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَالْأَكْلُ مَتَكِيًّا يَنَاقِضُ الْعِبُودِيَّةَ، لِأَنَّ فِيهِ مِنَ الْكِبَرِ مَا فِيهِ، أَحَدٌ وَجْهَهُ الْكِبَرُ الْيَوْمَ الَّذِي يُظْهِرُهُ مِنْ يَفُودِ مَرْكَبَةِ فَارِهَةِ جَدًّا، أَنْ يَفُودَهَا مَتَكِيًّا هَذَا أَحَدُ أَنْوَاعِ الْكِبَرِ الْفَالْتِكَاءِ أُنَاءَ عَمَلٍ مَعِينٍ، أَوْ فِي حَضْرَةِ أَحَدٍ، أَوْ اِئْتَاءِ الطَّعَامِ دَلَالَةً عَلَى الْكِبَرِ.

وَأَيْضًا مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا أَكُلُ مَتَكِيًّا) يَعْنِي لَا أَضْعُ الْوَسَائِدَ وَالْمَتَكُ تَحْتِي، وَأَمَامِي، وَعَلَى يَمِينِي، وَعَلَى يَسَارِي، لَوْ لَمْ يَمِلْ فِي جَلْسَتِهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى أَنْ يَأْكُلَ الطَّعَامَ الْكَثِيرَ، لَكِنَّهُ كَمَا وَرَدَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ يَأْكُلُ مُشْتَوِّفًا يَعْنِي جَالِسًا جَلْسَةً مِنْ يَرِيدُ أَنْ يَنْهِيَ طَعَامَهُ عَلَى عَجَلٍ، حَتَّى لَا يَأْكُلَ كَثِيرًا، وَهَذَا مِنَ الْقَوَاعِدِ الصَّحِيحَةِ الَّتِي تُفِيدُ الْإِنْسَانَ.

(وَأَتَتْ كُلُّ وَاجِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَبْكِيًّا): إِذَا رَجَعْتَ إِلَى هَذَا الْعَصْرِ تَسْتَدِلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ فِيهِ مِنَ الْفَخَامَةِ مَا فِيهِ، السَّكَاكِينُ كِنَايَةٌ عَنْ وُجُودِ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَصَارَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي هَذَا الْعَصْرِ، بِطَرِيقَةٍ أَوْ بَآخَرٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ، مَتَكَاتٌ وَسَكَاكِينُ، وَلَعَلَّهَا قَدِمَتْ الْفَاكِهَةُ وَاللَّحْمُ فَهِنَاكَ شَيْءٌ يَحْتَاجُ إِلَى تَقْطِيعِ.

(وَأَتَتْ كُلُّ وَاجِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَبْكِيًّا): فَلَمَّا بَدَأَ بِاسْتِخْدَامِ السَّكَاكِينِ، وَهِيَ تَمَكُّرٌ بَهْرًا وَتَرْدٌ عَلَى مَكْرَهِنَ.

(وَقَالَتْ ائْزُجْ عَلَيَّهِنَّ) لِيُوسِفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (ائْزُجْ عَلَيَّهِنَّ) فَاجْتَنِبْنَ (ائْزُجْ عَلَيَّهِنَّ) فَجَاءَ بِهَذَا الْمَعْنَى.

معنى أَكْبَرْتَهُ



اكتشاف أن الشيء في حقيقته مخالف لوصفه

(قلماً رأيتُه أَكْبَرُ): ما معنى (أكبره)؟ هذه تشير إلى شيء مهم؛ أحياناً تسمع عن إنسان لا تعرف عنه شيئاً، لكن تسمع به كثيراً، يُحدِّثك عنه والدك، ويُحدِّثك عنه صديقك، وتسمع عنه في وسائل الإعلام، لكنك لم تلتقي به، حدثوك عن كرمه، وعن شجاعته، وعن هيبته، وعن جمال صورته، وعن أخلاقه الحميدة، وعن خصاله الفريدة لكنك لم تلتقي به في حياتك، ثم شاء الله أن تسافر فإذا صديق لك يقول لك: أخذك إلى الشيخ الفلاني، فلما التقيته وجدت أن كل ما حدثوك به أقل مما هو عليه، ففكره، يعني الكلام كان دون الحقيقة، وهذا يحصل أحياناً مع الإنسان يحدثونه عن شيء، أو يحدثونه عن جمال مكان ما، ثم تقول: فلما سافرت إلى هذا المكان ورأيتُه، كان الواقع أجمل من الوصف، وقد يكون العكس، فَيُبالغ الناس في وصف شخص ما، ثم تلتقي به، فتجده أقل مما وُصف لك بكثير، وأنا قد حصل معي الأمران: أشخاص كنت أقرأ لهم في الكتب، وأسمع عنهم، وكنت أظن أنني سألتقي بقلب الزمان، فلما التقيته وجدته أقل بكثير مما قرأت وسمعت، وقلت في نفسي: ليتني لم ألتقه، وأبقيت تلك الصورة الذهنية العظيمة في داخلي.

واليوم أحياناً تُحدِّث بعض الإخوة الذين يعيشون في دمشق، وكلنا شوقٌ إلى دمشق، فيقول لك قائلهم: يا أخي دع دمشق جميلة في ذهنك كما تركتها، ولا تأت لتري ما حل بها، دعها في صفاتك، في فكرك يوم تركتها، حتى لا ترى اليوم الواقع المأساوي الذي فيها، لذلك كان عند العرب مثلٌ يقول: "أن تسمع بالمُعَيدي حَيْرٌ من أن تراه".

وفي المقابل أحد الأعراب لما سمع عن حلم الأحنف بن قيس قال: فلما رأيتُه صَعَّرَ الحُبْرُ الحَبْرَ، الحُبْرُ هو المعايبة، خبرته عاينته، صَعَّرَ الحُبْرُ الحَبْرَ، الحَبْرُ ظهر صغير جداً أمام المعايبة، فالتاس صفان؛ صنفُ تسمع عنه ثم تراه فتجده أقل مما وُصف، والعكس صحيح.

ومن الطُرف التي أروها أنني مرَّةً كنت مع شيخنا الدكتور راتب النابلسي حفظه الله في نزهة في الساحل السوري، فحدثونا عن نبع في الساحل في أعلى الجبال، نبعٌ عظيم جداً، فحدثنا الشيخ عنه وأنه جميل جداً، وينبغي أن نزوره، بالفعل النبع في جبالٍ عالية، وقطعنا له مسافات، ليست مسافات طويلة، لكن وعورة الجبال حتى وصلنا إليه، في أعالي جبال كسب، فلما وصلنا إليه فإذا هو كأنك قد فتحت صنوبر ماء، وأقل من صنوبر، ينزل منه قليل من الماء، هذا هو النبع كله، ليس هناك شيء آخر، فلما رآه الشيخ تكلم بحديثٍ شريفٍ وأنا فهمت مقصوده، تكلم بحديث النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى زيد الخير، فقال له: ما وُصف لي رجل قط فرأيتُه إلا كان دون ما وُصف به، إلا أنت يا زيد الخير.

الجمال جزءٌ يسيرٌ من الرجل



جمال الرجل ليس بصورته فقط

فهنا (أكبره) وجدن الحَبْرَ أعظم من الحَبْرَ، أكثر من كل ما حدثوهم عن جمال يوسف، أريد هنا أن أعلق على شيء؛ لا أعتقد أن القضية قضية جمال صورة فقط، جمال الصورة موجود منه بالمتة، لكن لا أعتقد أنه جمال الصورة فقط، لأن النساء غالباً لا يتعلقن بجمال صورة الرجل فقط، الجمال جزءٌ يسيرٌ من الرجل، بينما هو جزءٌ كبيرٌ من المرأة، هذا واقع، وهذا موجودٌ في علم النفس، الجمال ليس حسيباً عند المرأة بالنسبة للرجل في الأعم الأغلب، هي تعني بشهامته، برجولته، بمُرُوَعَتِهِ، بهيبته، فهنا الجمال أعتقد أن مفهومه أعم مما ذكره بعض المفسرين، من أنه صورة بهية فقط، جمال الشكل موجودٌ منه بالمتة، لكن مع جمال الشكل هناك هيبة، هناك وقار، هناك أخلاقٌ حميدة، ربما في غض بصره عنهن، في تعففه عن مطالعتهن، كل هذا جمال معنوي مهم جداً، فهم رأينَ جمالاً مختلفاً عن الذي يعرفنه.

(وَقَالَتِ ائْرُجُ عَالِيَهٗ ۙ قَلَمًا رَأَيْتُهٗ اَكْبَرُهٗ وَقَطَعَنَ ائْدِيَهٗنَّ وَقُلْنَ خَاسَنَ لِيَهٗ): (خَاسَنَ لِيَهٗ) أصلها حاشا لله، وحُدِّثت الألف للتخفيف، وتقال هذه الكلمة لتتزيه الله تعالى، فيقال: (خَاسَنَ لِيَهٗ)، تنزيهاً لله عزَّ وجلَّ عن شيءٍ يصفه به الجاهلون، فيقال: (خَاسَنَ لِيَهٗ)، وهنا المراد منها التعجب من جمال يوسف.

المَلَكُ صورةٌ مُتخيلةٌ في الذهن

(وَقُلْنَ خَاسَنَ لِيَهٗ مَا هَذَا بَشَرًا، أَي لَيْسَ يَوْسُفُ بَشَرًا، هَذِهِ مَا تَعْمَلُ عَمَلِ لَيْسَ، مَا هَذَا بَشَرًا، أَي لَيْسَ هَذَا بَشَرًا، إِذَا مَا هَذَا؟ هُوَ بَشَرٌ طَبِيعًا، الْأَنْبِيَاءُ بَشَرٌ وَلَوْ لَا أَنَّهُمْ بَشَرٌ لَمَا كَانُوا سَادَةَ الْبَشَرِ، وَلَكِنَّهُمْ انْتَصَرُوا عَلَى بَشَرِيَّتِهِمْ، فَكَانُوا سَادَةَ الْبَشَرِ).



كريم أي لا يشبهه شيء

(مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) الملك صورة مُتخيلة في الذهن، هل رأى أحدٌ منكم ملكًا من ملائكة الله؟ وهنَّ لم يَرَيْنَ، طبعًا هذا دليل على وجود بقايا من ديانة سماوية، لأن الملائكة غيب، فهذا دليل أن الديانة السماوية موجودةٌ عندهم، وإلا من أين جئن بلفظ المَلَك؟ ما خلا زمنٍ من وجود الحق، فهم قد سمعوا عن وجود الملائكة، فلما قالوا: مَلَك، لأن الإنسان دائماً عندما يرى شيئاً بخلاف توقعاته، ينسبه إلى شيءٍ متخيل في ذهنه ولو كان غير موجود، فنحن اليوم إذا رأينا منظرًا بشعًا نقول: كأنه شيطان، وما أحد رأى الشيطان، لكن أصبح الشيطان غاية الفبح، والمَلَك غاية الجمال، فلذلك قلن: (مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) والكرم هنا ليس الكرم المادي أنه يعطي، ولكن كريم النفس، يقال: حجرٌ كريم، ما معنى حجر كريم؟ نادر، حجر من الأحجار الكريمة، أي النادرة، فهنا كريم بمعنى مَلَك لا يشبهه شيء (مَلَكٌ كَرِيمٌ).

الآن تحصل المقصود الذي أرادته امرأة العزيز بمكرها؛ وهو إخضاعهن.

إذاً (فَلَمَّا رَأَتْهُ أَكْتَرَتْهُ وَقَطَّعَتْ أَيْدِيَهُنَّ) لا تعني أنهنَّ قطعن اليد بشكل كامل، ولكن هذا على لغة العرب بمعنى جرحن (أَيْدِيَهُنَّ)، لأنهن أصيبن بالصدمة والذهول، فلما يذهل الإنسان أول ما يذهل لا يعلم كيف يحرك يديه وهذا يحصل، يحصل أن تكون امرأة تُقطع الخضار أو الفواكه، ثم تشرد في فكري ما فتتفاجأ وقد جرحت يدها، فهنا (قَطَّعَتْ أَيْدِيَهُنَّ) أي جرحنها، والدليل لم يقل: فقطعن أو جرحن، قال: (قَطَّعْنَ) دلالة على أن الأمر تكرر من شدة الذهول، (وَقَلْنَ خَاشِنًا لِّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَتْ قَدْ لَبِئْتَ لِيَ لُؤْمِي فِيهِ □ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ □ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ
(سورة يوسف: الآية 32)

هنا استعلت الموقف (قَالَتْ قَدْ لَبِئْتَ لِيَ لُؤْمِي فِيهِ): (ذا) ليوسف و(كُنَّ) لخطابهن، (قَدْ لَبِئْتَ) أي فهذا يوسف (الَّذِي لُؤْمِي فِيهِ) أيها النسوة (قَدْ لَبِئْتَ لِيَ لُؤْمِي فِيهِ) أي الحقن بي اللوم لأنني سُغِغْتُ به حباً، و(رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ) هذا الذي حصل.

استمراء المعصية

(وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ) تظهر الآن مكابرة المعصية والجهر بها:

{ عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: كُلُّ أُمَّتِي مُعَاقَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمَجَاحَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ، فَيَقُولُ يَا فَلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ بَشْرُهُ رَبُّهُ وَبُصِيحُ بَكْنَيْفٍ سَيَّرَ اللَّهُ عَنْهُ }

(صحيح البخاري)

المجاهر والعباد بالله عندما يجاهر بمعصيته فقد بلغ حد المبالغة في المعصية، واستمراء المعصية، وكأنه لم يعد يجدها شيئاً يستحق اللوم، الإنسان قد يعصي الله عزَّ وجلَّ، لكن إذا وصل لمرحلة قال لك: وما الذي فعلته؟! هنا المصيبة، أنا أريد أن أفعل ذلك ماذا تريد مني؟ هذه مصيبة اسمها استمراء المعصية.

قالت: (وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ): أي بالغ في طلب العصية، إمتنع عني مع المبالغة، يريد أن يعصم نفسه مني، أن يحفظ نفسه من الوقوع معي في الحرام والعباد بالله، ثم تتابع مكابرة معاندة بهيبة امرأة العزيز وهي من هي، وتقول: (وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ) إذا مازالت مُصرَّةً على أمره بالوقوع معها في المعصية، وإلا فالسجن يكون له.



السجن هو حجز حرية الفرد

(لَيْسَجْتَنَّ وَتَكُونَنَّ مِنَ الصَّاعِرِينَ): السجن هو حبس حرية الفرد ومنعه من الإتيان بالآخرين، أو بممارسة حريته في مكان ما وحيثاً أو مع مجموعة من الناس، والسجن الانفرادي أشد والعياذ بالله من السجن الذي فيه أناس لأن الوحدة أمرٌ خطيرٌ جداً، فهذا هو السجن، وقد يكون معه ذلٌّ، ومهانةٌ، وضربٌ، وتقرعٌ، فيكون (مِن الصَّاعِرِينَ) يحاولون تصغيره في السجن.

تعامل النبي محمد مع الثلاثة الَّذِينَ خُلِّفُوا



عقوبة السجن في عصر النبي الكريم

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سجن ثلاثة أشخاص، لكن بعكس السجن المعروف، سجن ليس له نظير في تاريخ البشرية، الأصل أنك تسجن إنساناً فتضعه وحده في السجن، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الثلاثة الَّذِينَ خُلِّفُوا كَعَبُ بْنُ مَالِكٍ، وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةِ الْوَاقِفِيِّ، وَمُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيِّ، هؤلاء الثلاثة الَّذِينَ خُلِّفُوا واعترفوا بذنبهم وأرجئ أمرهم، خُلِّفُوا: أي أُرِجئ أمرهم إلى الله، وهم تخلفوا عن غزوة تبوك من غير عذر، فالنبي صلى الله عليه وسلم سجنهم، فأمر الناس بعدم الحديث معهم، ولا البيع، ولا التجارة، ولا الشراء منهم، ثم أمر نساءهم باعتزالهم، خمسون ليلة وهم في السجن، سجن انفرادي من الطراز الأول، دون أن يضعهم في السجن، هذا سجن بعكس السجن المعروف، لم يحبس حريتهم، ينطلقون أين ما شاؤوا، لكن لا أحد يكلمهم حتى تاب الله عليهم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ وَصَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ

(سورة التوبة: الآية 118)

هذا من أعظم أنواع السجون، ولما حصل التأديب، ونزل الوحي يتوب عليهم، عادوا إلى المجتمع، وعلم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه درساً في قضية المقاطعة التي تجدي المقاطعة في الله.

امتحان القصر فيه صبر اختيار

(لَيْسَجْتَنَّ وَتَكُونَنَّ مِنَ الصَّاعِرِينَ): الآن بدأ الدخول في الامتحان الثالث وهو امتحان السجن.



الصبر في القصر كان صبر اختيار

في الجب، ثم في القصر، ثم في السجن، امتحاناتُ ثلاث، قلت لكم؛ إنني أعتقد أن أصعب الامتحانات هو امتحان القصر، لأن صبر يوسف فيه لم يكن صبر اضطرار، وإنما كان صبر اختيار، في السجن لا بديل، في الجب لا بديل، أما في القصر كان بإمكانه أن ينجو في الظاهر، بأن يستجيب لأمرها وانتهى الأمر، ويعز في القصر أكثر وأكثر، ويكرم أكثر وأكثر، وتنتهي الأمور، وليس لأحد مصلحة في نشر الفضيحة، لكنه صبر في القصر صبر اختيار، بينما صبر في السجن وفي الجب من قبله صبر اضطرار، وكلها قاسية على النفس، لكن أشدها فيما أعتقد امتحان القصر.

الآن سنتقل إلى امتحان السجن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ

(سورة يوسف: الآية 33)

(قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ) لم يقل: لما تدعوني إليه، قال: (مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ) إذاً هؤلاء النسوة اللواتي كنَّ يتظاهرن بالصلاح، يدأن بحركات، وبغمزات، وبهمزات، وبلمزات، يراودن يوسف عن نفسه فقال: (مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ) لم تعد وحدها، يبدو أنه تعرض لمرادفة من غيرها، لا سيما بعد أن رأيناه، (أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ) إنسان مُخَيَّر بين أن يقع في حرام مع امرأة العزيز، أو أن يسجن، فيختار السجن، هذه الرؤية الصحيحة، أنت من خلال علاقتك بالله ترى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأْمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ

(سورة الحديد: الآية 28)

هذا نور.

الوقوع في المعاصي شقاء الأبد

إذا جنت اليوم بمئة شاب، وخيرتهم بين الوقوع في معصية، وبين السجن، كم شخصاً منهم يختار السجن؟ الذي يرى بنور الله يختار السجن، لأن السجن وإن كان حيساً للحربة، لكن الوقوع في الحرام هو انطلاق بغير ضوابط، يؤدي إلى شقاء الأبد، أما السجن فهو حيس مؤقت، لكنه لا يحبس نفسه بنار الشهوة إلى الأبد، هذه هي المقارنة والمقاربة.



الوقوع في المعصية جهل

(قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ): (أَصْبُ): أي أميل (إِلَيْهِنَّ)، هنا يوسف عليه السلام يعود إلى الأصل، وهو أن عصمته لم تكن من نفسه، وإنما كانت من معونة الله عز وجل له (وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ) أخاف أن تميل نفسي إِلَيْهِنَّ، وأنت وحدك من تستطيع أن تصرف عني كيد هؤلاء النسوة اللواتي يتربصن بي، (وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ) لأن من يقع في المعصية جاهل، جاهل بالله، جاهل بما أعده الله من ثواب لمن أطاعه، وجاهل بما أعد الله من عقاب لمن عصاه (وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ)، ولأنه نبي، ولأن الدعوة خرجت من أعماق أعماقه مفتقراً إلى الله في ذلك، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَاسَتْجَاتَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

(سورة يوسف: الآية 34)

(قَاسَتْجَاتَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ) كيف صرف؟ لا ندري، ربما مللنا منه، ربما شيوخ الأمر جعلهن يخفن من الامتداد في هذا الأمر، حماه الله من الكيد (فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ). (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) سمع دعاءه، وعلم حاله، سمع دعاءه في أن يصرف عنه كيد النساء اللواتي يردن به الشر، وعلم حاله في الافتقار إلى الله، والاستيغصام بالله، وطلب العصمة من الله تعالى وحده (فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).
الآن بدء الامتحان الثالث، وهو امتحان السجن، وهذا ما نُرجئ الحديث عنه إن شاء الله إلى لقاءٍ آخر.

والحمد لله رب العالمين.